نـافـذة

ثورة أخلاقية

تتجاوز المجد السابق، وتنهض من العجر اللاحق اللذين شكلا عقدة العقد لشرقٍ ملأ الكون بأحلامه التي لم يحقق منها أي منجز، حتى القريبَ منه صعب المنال، فراح لاستخدام اللاأخلاقي، وحتى اللحظة، مازال يمارس الأفعال مستنداً إلى الماضوية، التي خلبت لبه، ولم يتخلص من براثنها التي تسيطر على تلافيف عقله وقلبه، فنسي حاضره، وتعلق بآخرته التي وجد فيها خلاصه، تاه بين ما يفعل وفرصة انتظار المخلص، ولم يحصل على الاثنين طبعاً، هي نظرية الأديان الثابتة، لا نظريات العلم المتحركة التي تدعوك دائماً، وبعد أن تصل إلى النتائج، للبحث من جديد أو إنجاز ما توصلت إليه، أي إن الأفكار لحظة أن يتقبلها الواقع تدعوك لتحويلها إلى مادي، إلى بناء يشاهده الآخر، ويجذبه إليه.

تدعونا الحاجة الماسة للقيام بها، بعد أن علا صوت الانفلات اللاأخلاقي، وعلى جميع المحاور الدينية والاقتصادية والسياسية، وانفكت عرا الارتباطات والعقود الاجتماعية من عُقلها، حتى غدت الأخلاق شرائم أصوات، نسمعها بين الحين والآخر، كمن يصرخ في واد، وانقسم المجتمع بعضه على بعض، وكأن به مجموعات بشرية، لا يعرف بعضها بعضاً، فهذا ينادي بالتشدد، وذاك يهتف للاعتدال، وأصبح الكل لديه يمين ويسار، وحمائم وصقور، حتى بتنا نرى المتطرف والمسالم المعتدي والمعتدى عليه سواء، بل أكثر من ذلك، صرنا نسمع أنَّ الكل لديه نازيون وفاشيون وانتحاريون ضمن حدث جلل، أظهر حدوث الانقسامات الأهلية، طبعاً كانت موجودة في الأساس تحت الرماد، إلا أنها طفت على السطح، وبشكل عنيف لم يسبق له مثيل، وبما أن مجتمعاتنا العربية، امتلكت الحداثة السياسية التي لم تؤمن إلا بثقافة القوى من أجل الحفاظ على بقاء الدولة وديمومتها، فإنها أسهبت في الاعتماد على المنظومة الدينية التاريخية، بدلاً من الذهاب لتأسيس منظومات قانونية وحقوقية، تنظم مجتمعاتها الأهلية، وتشكل رافعة لحضور الدولة السياسية التي من أول واجباتها إدارة اقتصاد الكل، لا اقتصاد الفرد، وإدارة مشاعر التدين على أنه وحدة كلية، لا إدارة طوائفه، والذي ظهر لنا من خلال ما يمر بنا، أننا مجتمعات طائفية، تغلفت بلبوس الدين، وأظهرت تدينات وهمية، عملت في السياسة من دون فهمها لمقتضيات العمل، فكان منها أن سكنت لفترة، وانتفضت لفترات، فانكشف الواقع الذي أظهر أعتى وأقوى أزمة مرَّ بها تاريخ جغرافيتنا، على الرغم من حدوث الأزمات بين الحين والآخر، التي لم تفارقها لقرون عديدة مضت، فما الذي يحدث اليوم مع استمرارها الذي يشير إلى أننا بين نهجين خفيين وظاهرين، الأول طائفي بامتياز. والثاني انفصالي خجول. وبينهما أولئك الرماديون المنتظرون، ومعهم المنافقون والمداهنون والمستفيدون من كل ما يجري، الذين يرقبون ذهاب الأمور، فيميلون إليه، وفق كل ذلك تقف الدولة بالسياسة تجاهد من أجل إعادة الجميع إلى ما تحت مظلتها الواقية لجميعهم.

إن لم ندافع بقوة عما نريد، لا ينبغِ لنا أن نصرخ من شدة الألم، ولا أن نتحسر على ما خسرناه.

فقد طفت على السطح انقسامات مقلقة، أظهرت شرَّ الجميع، ووصلت إلى حدِّ الرعب، فالكل مرتعد مما ستؤول إليه النتائج لحظة استراحة العاصفة، وفي اعتقادي الذي يتوافق مع النذرة من المؤمنين بنظرية الوطن والدولة، يقول إن الفرصة جدٍّ مواتية للقيام بثورة أخلاقية، تعيد بناء المجتمع الذي دُمِّر الكثير من بناه الفوقية والتحتية على أسس أخلاقية عقلانية، تؤمن الحقوق الإنسانية والمدنية أولاً، وتحفظ للجميع الحقوق بالمعتقد وكرامتهم التي هدرت، وإذا ناقشنا ذلك المشهد التاريخي الذي على أساسه تمَّ اختيار الرسول العربي، واستناده الكليّ على البناء الأخلاقي، وإشارة الكليّ إليه: (إنك لعلى خلق عظيم) وصفاته الصادق الأمين، ولم يقل له إنك لعلى دين عظيم، لوجدنا أن تأسيس الأديان كان بناء على العملية الأخلاقية، ليعود الرسول ويقول بعد ظهوره النهائي: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وكذلك قبله كان للسيد المسيح قول في هذا: «إنما ظهرت عليكم لأصحح لكم بعضاً مما كنتم تقترفونه بحق بعضكم».

لذلك نجد أن العودة لبناء وإرساء قواعد أخلاقية على أسس مكينة، تؤدي إلى إنشاء بناء اجتماعي إنساني، يصعب اختراقه، وفي الوقت ذاته يؤدي إلى التحرك الواقعي من حجب اللامعقول المسيطرة على فكرنا الحامل دائماً لمنظومة فكرية تتمسك بنظرية كنا، ولم تؤمن يوماً بأن علينا أن نصير، هذا الفكر الذي تتحمل الدولة مسؤولية قيادته بعد قيامها بطرح تسويات مدنية واقعية، تتناسب مع حركتها الزمانية من أجل العودة إلى الاستقرار أولاً. وثانياً تحقيق بدايات ناجحة في إعمار البشر والحجر، لا ضير في أن تتمتع مجتمعاتنا بنشواتها الدينية شريطة إيمانها بالواجبات الوطنية. وبما أنَّ الدولة تقوم بسداد رواتب أئمتها وكهنتها وجميع موظفيها، والأحزاب الدائرة في فلكها، وتوفر لهم الرعاية والحماية والحصانة وحرية الحركة، فلماذا تتركهم على أهوائهم يصولون، ويجولون، من دون قدرتهم على تقديم مشروع أخلاقي واحد، يدعو إلى الأمام، لا إلى الوراء.

أين دور الدولة في قيادة ذلك كله؟ أين سيادة الدولة وثقلها السياسي والإداري والتعليمي والتوجيهي القادر على بعثها من جديد وتحقيق توازناتها الاجتماعية، من خلال طرح ما تريده، وهدفها وحدة الشعب أولاً وأخيراً وحمايته ليعود إليها، فيحميها بأخلاقه أولاً، وبإيمانه الذي يدعوه للإنتاج، وغايته إفادة مجتمعه وأمته والأمم بأسرها على اختلاف معتقداتها.

إن ظهور الصراع اللاأخلاقي في زمانه وعلى مكانه فاق في حركته المتخيل، وأوجد اضطرابات نفسية وتشوهات فكرية قبل التشوهات المادية واللامادية، شهده العالم بأسره نتاج غياب الأمل بالمستقبل، وسيطرة الإحباط الذي يسأل عنه الفكر القيادي بشكل خاص، ومعه التوجهات السياسية الحاضنة له. كيف بنا ننادي بعلمانية الدولة، ونمارس ماضوية الدين لا رؤيته الأخلاقية التي ينبغي على القيمين عليها الأخذ بنواصيها؟ إن أشعة الشمس تخترق النوافذ عنوةً، لتستفيد الظلمة من غيابها، كيف بنا لا نعمل على توفير ظروف أخلاقية نخترق بها العقول، وحتى فرضها بالقوة السياسية والسيادية؟.

د. نبيل طعمة

العقل الشاب بلحية بيضاء.. عادل محمود بريء كسراب!!

عندما يصبحون كهولاً غرباء... يعودون من حيث جاؤوا!!

إسماعيل مروة

إن كان لي حصة من رصاصات، في بندقية ما،
من متراس ما
فكل ما أرجوه
ألا يطلقها عليّ أحد «رشاً» بل «دراكاً»
لئلا تجزع سلحفاة شرفتنا وينكسر السنونو
إن كان لي حصة من المتفجرات
أرجو ألا تضعوها تحت مقعدنا
في حديقة المهاجرين
لئلا ينقص الحب في هذا العالم

في ربيع ٢٠١٢ قال عادل محمود هذه المقطوعة من قلب الدمار والقتل والدم، وكله أمل في حرية قادمة تليق بالإنسان بعد أن يحتفظ كل منا بمقعده من الحب في حديقة ما من مكان ما.. نص نازف بالواقع والرجاء، نص من لا يخشى الموت والرصاص والتفجير، بل يرشد الآخر للطريقة الملائمة ليبقى شيء ما من ألق للغد الذي يليق بالحرية القادمة، الحرية التي يراها الشاعر يقيناً قادمة يلفها الزهر والأمل بعد أن عبر الإنسان إلى الضفة الأخرى.

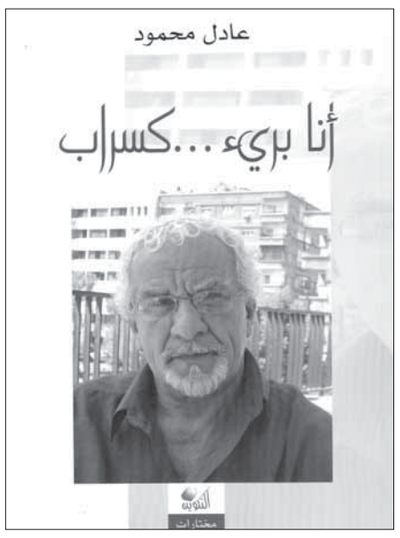

براءة السراب

وحده يأتي ويذهب من دون أن يرتكب وزراً هذا السراب، يرقبه الناس ويراقبونه، لكنه يصل ويخرج كأن لم يكن! لذلك جاءت براءته، ولأنه حقيقة اختاره الشاعر ليكونه، ربما لأنه يمثل أملاً للمترقب، فالسراب يزرع الأمل في شربة لظامئ، وفي غد لناشد حرية، يعطي السراب الأمل، وإن كان يخرجُ ببراءة من لم يفعل شيئاً، كذلك هو الرائد الذي لا يكذب أهله، كذلك هو الشاعر الذي يقف آخر الدمار ملوحاً لك بالحرية القادمة مهما تلبدت الغيوم، ومهما انهمر مطر الخراب والدم.

«أنا بريء كسراب» اختاره عادل محمود عنواناً لمختاراته الشعرية التي صدرت عن دار التكوين بدمشق، مختارات لشاعر مطوّب منذ عقود، له صوته ونكهته وبصمته، له شعره وله غضبه، له حبه وله نقده، ولا أخفي أنني فوجئت بهذه المختارات، ولست مع الاختيار لشاعر بوزن عادل محمود، فكل شعره مختار، وهو شاعر مزاجي غير مكثر، لذلك ليس من حقه الزعم أن الاختيار ممكن، وعجبت منه عندما جرؤ على الانتقاء من المتميز الذي رافق مسيرته، وقد يكون عادل من القلة من الشعراء الذين احتفظوا بكينونة الشعر في ذواتهم ولم يبتذلوه، ولم يبذلوا ماء وجهه، وحسبك أن تجد شاعراً مثل أدونيس يبحث في الوجوه عن عادل، ويسأل عن عادل وشعره، ويعتني بغياب الشخص والنص، وكنت أتمنى في استراحة المحارب هذه، وهو على مقعد الحب يعيش في هذه المدينة متجذراً أن يصدر المجموعات الشعرية من دون اختيار لتكون هادياً للذوق الشعري، ولألق الصورة وعمق الفكرة.

عشت في هذه المدينة مئة عام و... يوم
قضيت نصف قرن مربياً لماعز الأمل
وقضيت نصف قرن آخر
وما زلت على رأس عملي

> إن كان لي حصة من الزهور.. فلتكن أقحوانة الحرية القادمة

في مهنة أحبها:
سقاية السراب
فليكن سراب الشغوف بالوقت والزمن، شغف الترقب أو شغف الحب أو الخوف، فمن عاش مئة عام ويوماً، كتب الأبدية في (إلى الأبد ويوم..) ونال عليها جائزة قراءة الزمن والشغف به، ومعرفة المكان فيه.

صورة من اليوم إلى السراب

يحدد عادل محمود من البداية المجموعات الشعرية التي اختار منها هذه المجموعة لتبدو منسجمة مع كهل الحكمة الذي عاش مئة عام ويوماً.. قد يكون الدافع إلى الاختيار إعطاء صورة عن رؤية الشاعر، وربما عن نبوءته وقراءته التي سبقت ما يحدث على الأرض اليوم من أحداث محيرة للعقلاء، والدليل على ذلك المقاطع التي بدأ بها الشاعر اختياراته، تلك المقاطع التي تقف عند فاجعة الحدث الذي يجري على الأرض السورية، وفي مقطع عنونه «٢٥ آذار ٢٠١٢» يكتب الشاعر مقطعاً ملغزاً ومعبراً عن هاجس المكان والإنسان:

يأتون إلى دمشق.. فتياناً، وأغراباً، وغرباء
يعيشون في دمشق رجالاً، وخبثاء، وغرباء
يملكون بيوتاً متاحة للأغرار وللرجال الخبثاء الغرباء
لكنهم عند خط النهايات الأخير
عندما يصبحون كهولاً وغرباء
يعودون، من حيث جاؤوا
كي
لا
يموتوا...
غرباء!

مع تركيز الشاعر على الغربة والخبث إلا أن النص يحمل ألماً دفيناً: كي لا يموتوا غرباء! وكأن الموت حتمية في موضع ما، والنجاة ممكنة في مكان ما!!

ونبوءة الشاعر وقراءته وموقفه هو ذاك المستمر منذ البدايات، وهذا ما يعبر عنه عادل محمود في شعره عامة، فهو ناشد للحرية، قارئ للغد، راسم للخطوات.

لما يفاجئني
بل لم يكن يعنيني مشهد السقوط العفني
حجراً وراء حجر
ولا تفسخ الجدران
أو صرير أجوبة التاريخ على الجدران
فهذه القلعة لم تكن بيتاً لأحد غير سلاجقة العصور
ولم تحم أحداً من السكان المذعورين في لحظة الغزو البربري خارجها
ولم تك بيتاً للحكمة أو لحماقة الشجعان
كانت للجشعين وحدهم
صرت أفكر، كلما مررت بها على ضفة النهر القديم
أفكر، وأنا شاهد تفسخها وتعفنها وترميم عفتها
أفكر: متى هذه القلعة العظيمة الأكذوبة
متى.. تكمل هذا الانهيار؟

صورة للشاعر وشعره، وإن كان الاختيار لا يكفي وحده، إلا أنني مارست كذلك الاختيار على اختياراته، صورة تعبر عن عادل الشاعر المتمكن صاحب الرؤية الثاقبة في ثنايا الفكر واللغة والإبداع.

قراءات مسرحيّة... وجوه وحكايا

بداية نشطة لقسم الدراسات المسرحيّة

عامر فؤاد عامر

عَرَضَ قسم الدراسات المسرحيّة قراءات (وجوه وحكايا) ضمن التظاهرة المسرحيّة « أول الحكاية» على مسرح «فواز الساجر» في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، كبدايةٍ للانطلاق بنشاط نحو موسم دراسيٍّ جديد، والنصّ والإخراج للدكتورة «ميسون علي»، والأداء جاء لكلّ من: المهدي شباط، ومجدي المقبل، ومنار نقشبندي، وليلاس العربيد، وجيهان مملوك، وزين صالح. وهو عرض أدائي بمشاركة الإضاءة والموسيقا.

لوحة الحكايات والوجوه السوريّة

العرض «وجوه وحكايا» كان عبارة عن لوحات سرديّة، يتخللها مقاطع شعريّة من أشعار «بول فاليري» و«محمود درويش» وبمشاركة نصّ سردي قصير للكاتب «خليل صويلح». وجاءت هذه القراءة جماعيّة بصورة نصوص تناولها المشاركون عبر قصّة ذات مغزى شمولي، يحمل إسقاطات مباشرة على واقعنا كأشخاص ننتمي إلى هذا الوطن، وانعكاسات الواقع علينا، والتأثير في الحياة الشخصيّة، والحياة الجماعيّة، واشتراك الجميع في تفاصيل متشابهة بسبب واقع الأزمة والحرب التي خضناها مرغمين، فقد تمّ استخدام كلمات ذات إيقاع متشابه مثل: «الموتى»، و«الخوف من الموت»، و«رصاصة»، و«قذيفة»، و«سلاح» إلى آخر هذه الكلمات المتشابهة. ولإيقاع السرد عدّة مستويات فبين مستوى القراءة الفرديّة الذي يحتاج لإصغاء، وهدوء، وتفهم من المتلقي، كان هناك لعب على توزيع أفراد العرض على المسرح، وبين الجمهور، وفي أماكن متعددة، بين قريب وبعيد، ومستوى منخفض ومرتفع، ولذلك دلالاته التي انسجمت أيضاً مع شكل النصوص، والهدف منها، في حين جاءت بعض العبارات ولاسيما في نهاية العرض، مشتركة ومجتمعة بصوت واحد، كجملة «السرد الجنائزي أو «رأس مطلق وتاج كامل» وغيرها من التراكيب ذات المغزى التي علت بأصواتهم أكثر من مرّة، وهي غيّرت من إيقاع القراءة الهادئ لتلفت انتباه المتلقي أكثر، استعداداً لختام المشاهد، وتحدياً لواقع الحال، وكأننا على مشارف نهاية وبداية متجددة. وعلى الرغم من الجهد الواضح الذي بذله الطلاب بالمجمل في تقديم العرض كان هناك نقص بسيط في اللوحة جاء على شاكلة الأخطاء في القراءة ونقصد الأخطاء اللغويّة فالقراءات منهم احتاجت لمزيد من الاهتمام في ناحية اللغة والقواعد الإعرابيّة وحبذا لو يكون هناك اكتمال في المشهد من حيث عدم الإخفاق في القراءة السليمة ولاسيما أنهم يتعاملون مع الكلمة بصورة مباشرة وحساسة.

اشتراك العناصر ولغة التعاون

لعبت الإضاءة دورها البارز في العرض ففي لحظات الحزن والكلام الذي يعبر عن مرارة أو لحظة تأمل فرديّة كان للعتمة والإضاءة المسلطة على قارئ النصّ دورها الجميل في لفت الانتباه والتركيز أكثر على لغة القصد من الكلام وما وراءه، وكذلك في لحظة القراءة الجماعية وانتشار الإضاءة في عدّة أماكن من المسرح، وهذه الإضاءة كانت لـ«أوس رستم» من قسم التقنيات المسرحيّة في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، ونفذه طلاب قسم التقنيات المسرحيّة في السنة الثانية وهم: «فراس العربيد» و«منتجب عيسى»، و«كنان يوسف»، و«رامي الظللي»، و«القاسم أحمد»، و«أسعد سنديان»، و«عمر العواني»، و«طاهر سلوم»، أمّا الموسيقا فكانت لـ«راما البرشة» التي اختارتها بما يتناغم مع هدوء القراءة وانفعال الكلمات وقد جاءت بانسجام وتكامل مع لوحة العرض بالمجمل، وفي عرض «وجوه وحكايا» ميزات أخرى أضافت الطابع التكاملي للقراءات المسرحيّة تلك وهي اللوحة الخلفيّة التي جاءت من تصميم «يزن قرموشة»، وفيها دلالة على واقع الحال الذي يشبه كلّ إنسان سوري يعيش في ظروف الأزمة والأبنية التي تعبت من الصبر وأصابها الضجر في انتظار الفرج ونهاية الحكاية.

بين المنهاج وفاعليّة قسم النقد

التقينا الدكتورة «ميسون علي» وكيلة المعهد العالي للفنون المسرحيّة (٢٠١٤-آب٢٠١٥) ورئيسة قسم الدراسات المسرحيّة الحاصلة على شهادة الدكتوراه في المسرح الفرنسي المُعاصر من جامعة القديس يوسف Université Saint-Joseph De Beyrouth أستاذة المسرح الحديث والمعاصر، ومن موقعها، وما الذي يقدّمه هذا القسم للدارسين من حيث تطوير ملكاتهم؟ وهل المنهاج الذي يُدرّس كاف لهم؟ وكيف يمكن تطويره:

«القسم بمناهجه وأكاديميه يُقدّم للطلاب معرفة علميّة رصينة بالمسرح وتطوّره عبر خمسة آلاف سنة، عدا المواد الرديفة غير الاختصاصيّة، وهذا كلّه يُساهم في تمكين وتطوير الوعي المعرفي للطلاب خلال دراستهم، وتندرج مقررات القسم ضمن محاور أساسية يتم التطرّق إليها عبر السّنوات الأربع بشكل تدريجي يُراعي التطوّر التاريخي، مع التأكيد على الربط بين المقررات – محور تاريخي /جغرافي: وفيه يتمّ الإلمام بالمراحل الأساسية والمفاصل الرئيسة في تاريخ المسرح كنص وعرض في الغرب والشرق الأقصى والعالم العربي، والإلمام بالمراحل الأساسية في تاريخ الفكر، والفنّ، والأدب، وكلّ أشكال التعبير العفويّة والشفويّة منذ الحضارات القديمة وحتى العصر الحديث، مع التركيز على الظواهر الطقسيّة والاحتفالات والأعياد، وكلّ ما يُعتبر ظواهر شبه مسرحيّة.

– محور النقد وعلم الجمال ونُظم الفنون: الإلمام بالمدارس النقدية الغربية والعربية، وأهم التيارات الجمالية في علاقتها بتطوّر المسرح ومكوناته مع التركيز على معنى المصطلحات والمفاهيم النقدية، وكذلك علاقة المسرح بالفنون الدرامية الأخرى مثل السينما والتلفزيون والإذاعة، والفنون التشكيلية والموسيقا والرقص.

–محور تحليلي: قراءة النص وقراءة العرض وتحليل المكوّنات الدرامية والمشهدية

المسرح وعلاقته بالعلوم الإنسانية علم الاجتماع – الأنتروبولوجيا – علم النفس.

– محور الكتابة المسرحية والكتابة النقدية: أي الإلمام بالمبادىء الأساسية لكتابة نص مسرحي وإعداد عرض وكتابة مقالات نقدية وكتابة أبحاث نظرية وتوثيقية، مع التركيز على أصول منهجية البحث.

في منهاج النقد وتطويره

وتضيف رئيسة قسم النقد المسرحي أيضاً عن الدراسة النظريّة والعمليّة في قسم الدراسات: «تُقسم الدراسة إلى جزأين نظري (يُستتبع بامتحان) وعملي يُقدّم الطلاب فيه حلقات بحث في كلّ المواد. وقد تمّ العمل في السنوات الأخيرة على تطوير الجانب العملي لتأهيل الخريج للعمل في مختلف الاختصاصات المسرحيّة العمليّة، كذلك تمّت إعادة دراسة وصياغة الخطّة الدرسيّة للانفتاح على الفنون الأخرى كالسينما والتلفزيون وإدارة المشاريع الثقافيّة مع الحفاظ على هويّة القسم الأساسية المسرحيّة، وهناك مشروع لافتتاح قسم الدراسات العليا في عدّة اختصاصات».

مقررات الدراما تورجيا

أمّا عن محاولة تطوير القسم وتجديد المنهاج بصورة دوريّة فتضيف الدكتورة «ميسون علي»: «هناك تطوير دائم في القسم، إذ تمّ تعديل المناهج منذ سنوات، على يدِ اختصاصيين أكاديميين، ما يُشكّل الآن تداخلاً عضوياً بين كلّ المواد بحيث تتوجّه جميعها نحو الحرفة المسرحيّة، كما تمّت إضافة مقررات «الدراماتورجيا» التي تدخل في صلب العمليّة الإخراجيّة من تحليل، وقراءة معيّنة للنص، والانتقال من النص إلى العرض، وإعداد النص وتوليفه، وترجمة النص، أو نقله من اللغة الأدبيّة إلى اللغة المحليّة، أو كتابة النص انطلاقاً من تدريبات الممثلين الارتجاليّة. والسيناريو التلفزيوني والسينمائي إلى جانب الكتابة المسرحيّة. من هنا فإن خريجي القسم مؤهلون للعمل في اختصاصات مختلفة في الكتابة المسرحيّة والتلفزيونية، ومنهم من يعمل كدراماتورج أو مساعد مخرج– كما يعملون في الإعلام المرئي والمكتوب.. وأقول من دون مبالغة إن مساهمة خريجي القسم في المشهد المسرحي والثقافي السوري على درجة كبيرة من الأهمية عبر اختصاصات ثلاثة الدراماتورجيا – النقد المسرحي – الكتابة المسرحيّة، وأؤكد أن قسم الدراسات خرّج النخبة منذ تأسيسه وحتى الآن».

> لوحات سردية ذات مغذى خاص وعام يتخللها مقاطع شعرية